سجل زيارات المكتبة العباسية

إحسان وفيق السامرائي

كاتب وصحفي

Info @college of histdry.com

" اعتقد ان سجل الماضي عرضة للنسيان "

" لورد كيرزن "

" رغم الموضوعات والمباحث التي تعرضت للمكتبة العباسية "الخاصة باسرة "ال باش اعيان" لكونها مكتبة تراثية حملت مئات المخطوطات والكنوز الفكرية في : علم الكلام والبلاغة والنحو والفلسفة والتاريخ " الا ان المؤرخين والكتّاب تجاهلوا الاطلاع على "سجلات الزيارة الخاصة بالمكتبة " اذ تكشف السجلات التي جاوزت " عشرة سجلات " اسماء شخصيات سياسية واجتماعية وفكرية وادبية جاءت من كل اطراف العالم للتباحث بالشؤون والاحداث السياسية الراهنة اضافة لزيارة المكتبة الشهيرة .

ولغرض الوصول الى فترة زمنية من متابعة السجلات وحصر التواريخ ولمعرفة تاريخ العراق السياسي والاجتماعي المعاصر لابد من اتخاذ " المكتبة العباسية " نموذجا .

فقد اعتادت اسرة "ال باش اعيان " منذ "سبعين سنة " الاحتفاظ بسجلات الزائرين ، وكان هذا التقليد او "العرف" قد بدأ عام ١٩٣٨ عندما حمل اول السجلات اثار شخصيتين مهمين في تاريخ العراق هما :

" السيد نوري باشا السعيد " رئيس الوزراء الاسبق الذي حكم العراق لاكثر من اربعة عقود مليئة بالاحداث المهمة والوقائع وانتهي بزوال الملكية سنة ١٩٥٨ عندما "سحل" بصورة همجية من قبل الرعاع وتبين بعد ذلك انه الرجل الاقدر في قيادة الشعب العراقي ومعرفتة بخواصه وتطرفه .

اما الشخصية الثانية فهي الشاعر محمد مهدي الجواهري الذي عرفت المحافل الادبية والاجتماعية قصائده وتقلباته السياسية ، وقد ذيلّ الشاعر توقيعه بقصيدة لم تنشر في مجموعاته الشعرية الكثيرة وفيها " يمدح " اسرة ال باش اعيان " .

ان محاولة حصر تاريخ المكتبة ضمن عقود زمنية سيساعد على تحديد المسار الزمني والفكري لها ،لانها المكتبة الوحيدة في العراق التي تعرضت الى الكثير من العوائق حين احتسبت على خلفية التبدلات السياسية رغم كونها المكتبة الوحيدة التي ليس فيها أي منهج سياسي الا ان الاحداث السياسية فرضت عليها ان تخضع اسميا الى ما تعرض له " ورثتها " من الاهمال والعزل.

فالزائر الذي يصل المكتبة للبحث يشعر بالتفاوت الكبير بين سمعتها التاريخية كخزانة لكنوز ومخطوطات نادرة وبين واقعها ، وحين يبدءا الزائر الطواف في المكتبة يشعر بالتباين الظاهر بين المكتبات التراثية الموجود في بلدان العالم وطريقة عرضها و ترتيبها وهي تمنح الانسان نكهة المكان وحضارته ، وبين "المكتبة العباسية" التي ظلت تحتفظ بطابعها التقليدي القديم كمكتبة بيتية ضيقة المساحة تثير الاستغراب :(انارة سيئة وانعدام للخدمات من "تصوير وخزن ونسخ "وعدم وجود مساعدين لشؤون المراجعة) ..

ويرجع هذا الاهمال الى الضغوط السياسية التي تعرضت لها الاسرة العباسية بعد سقوط الملكية والحملات الغوغائية لاحراق المكتبة اضافة الى المواقف الاعلامية بعد تلك المرحلة وتعتيمها على اخبار الاسرة العباسية ومكتبتها .

الفترة الاولى ١٩٣٨ – ١٩٥٨ :

ان هذه الفترة كانت ساخنة بسبب انتشار الحركة النازية وتصاعد الحركة القومية العربية وصراعها مع الشيوعية والرأسمالية ووجود رجال يؤمنون بالقومية العربية والوحدة والقضية الفلسطينية وبما ان اسرة باش اعيان كانت قريبة من الاسرة المالكة ورجالها فان الزيارات كانت مقرونة بوجهين سياسي واجتماعي :

ومع كل النواقص والحاجيات نرى بان سجلات المكتبة العباسية هي من المراجع التعريفية لوضع البلاد ، لان طبيعة الاسرة العباسية ومركزها الاجتماعي والسياسي وولع رجالها بالتدوين ينبئنا بما يمكن ان يخرج المؤرخ به من انطباعات ودروس .

عن نوعية الزائرين وتفاوت درجاتهم العلمية والوظيفية ومحاورهم السياسية .

مثل " الروفيسور بروكلمان " مؤلف الموسوعة الاسلامية والدكتور علي الوردي ، أمير الجيش اليمني ١٣٥٩ ، عبد القادر الكيلاني القائم باعمال المفوضية العراقية في القاهرة ١٩٤٠ والدكتور عبد الرزاق الظاهر وزير الاقتصاد وحيدر مردم " القائم بالاعما ل " السوري " والبروفيسور همفلي المشاور البريطاني بوزارة المعارف والشيخ عبد العزيز الفالح السعدون والشيخ مشحن الحردان "شيخ الدليم" والاديب ابراهيم عبد القادر المازني "مؤلف حكم الطاغية وعود على بدء " وادهم السيد عيسى "مؤلف سلسلة " مجمع الاثار العربية " ، و المؤرخ خيري العمري مؤلف "شخصيات عراقية " والدكتور جبرائيل جبور ١٩٤٠ من الجامعة الامريكية في بيروت واللواء الركن جميل الراوي وزير الدفاع ومحمد حسين حيدر رئيس مجلس النواب ١٩٤٠ وسيد مهدي المنتفكي وزير المعارف وعضو مجلس الاعيان .

واضافة الى التفاوت الزمني في التواريخ فان فيها ما ينبئنا عن حقيقة الوضع الاجتماعي للعراق وسط لهيب الفتن والانقلابات العسكرية وهي فترة حرب فلسطين وهجرة اليهود ومعاهدة بورت سموث والمظاهرات الطلابية والجبهة الوطنية ولان جل من وصل اليها كانوا من اصحاب الشان وهي احصب فترة اعطت للمكتبة طابعا اجتماعيا خاصا للعراق والوطن العربي .

الفترة الثانية ١٩٥٨-١٩٦٨ :

وهي مرحلة ظهور عبد الناصر و سقوط الملكيه في مصر والعراق وبدء مرحلة الفوضى والشعارات وفيها تعرضت المكتبة العباسية للفوضى وانقطاع الزيارات السياسية والاجتماعية واغلاق المكتبة. وقد خلقت للا سرة العباسية المكتبة اشكالات عديدة وفي حينه تعرض البيت والمكتبة الى الغوغاء الذين استغلوا المناسبة على اعتبار كون السيد برهان باش اعيان كان وزيرا للخارجية " جوكم امام محكمة المهداوي وحكم عليه بالاعدام ثم اطلق سراحه .

وعلى تلك الافتراضات توقفت الزيارات و مراجعة المكتبة بسبب مكانة الاسرة ويمكن الاستدلال من بعض الشواهد الظاهرة في سجلات المكتبة ، فاللواء الشاعر مزهر الشاوي المدير العام للموانىء العراقية ومن المقربين للزعيم عبد الكريم قاسم لم يزر المكتبة الا بمطلع عام ١٩٧٠ بما يعطي الدلالة على الوضع العام .

الفترة الثالثة ١٩٦٨ - ١٩٧٨

فكانت فترة خصبة للمكتبة اذ تهشم الاطار الخارجي المحافظ عندما حلت وجوه دولية و شعبية و تدفق لعناصر العالمية :

الدكتور سعيد عبده و مزهر الشاوي ورئيس جامعة البصرة و د حسين علي محفوظ وحسين الشيخ خزعل مؤلف "تاريخ الكويت السياسي والعميد عبد الرحمن التكريتي والمؤرخ سيف مرزوق الشملان والمؤرخ عبد الرزاق الحسني وشاكر صابر الضابط وكوركيس عواد والدكتور جورج عطيه امين القسم العربي بمكتبة الكونغرس والدكتورة ميمونه الصباح رئيسة جامعة الكويت والقاضي عيسى نجم و روبرت سترونغ السفير الامريكي والشيخ محمد سيد طنطاوي" الذي اصبح شيخل للازهر والدكتور هيلمت كول مدير معهد غوته وهاشم الخطاط .

الفترة الرابعة ١٩٧٨ -١٩٨٨ :

وهي فترة الحروب والقصف .. وقد تعرضت المكتبة الى اثار الحرب لتبدءا فترة التفكير بنقلها من مكانها بعد وفاه عميد الاسرة الشيخ عبد القادر اباش اعيان .

الفترة الخامسة ١٩٨٨ ٢٠٠٣ :

وهي فترة الدراسات والبحث عن وقائع نتيجة اتجاه جامعة البصرة لجمع تراثها وتكليف بعض الدارسين لهذه المحاولة ومع اهميتها فلم تتمكن المكتبة من فتح بابها الا ضمن زيارات خاصة "مرة في الاسبوع ."

لقد اهملت الحكومات المتعاقبة في البلاد امر المكتبة العباسية اضاقة االى تجاوز المؤتمرات الادبية والتاريخية " المربد والسياب والخليج العربي " زيارة المكتبة او الاطلاع على تراثها اضافة الى ان المكتبة لم تحض بزيارة لوزراء الثقافة طيلة نصف قرن باستثناء زيارة الصاغ صلاح سالم وزير الثقافة المصري ستة ١٩٥٥ .

مامل الان ايجاد صبغ جديدة ومحاولة تاسيس جديد مع المؤسسات الاعلامية والثقافية للاستفادة من كنوز المكتبة التي تجاوز عمرها اربعة قرون .

ihsanwa2009@yahoo. com